أهم القضايا الاجتماعية والفنية في رواية "شجرة البؤس" لطه حسين"

Prominent Social Issues and Technical Aspects in the Novel Shajarah Al-Buʾs by Ṭāha Ḥusain

Dr. Fouzia Jabeen
Lecturer at Govt. College Dhoke Syedān
fozijabeen@gmail.com

Abstract

Taha Hussain was one of important figure in that Era who enlightened the society through his novels and presented the solutions of the social issues found in Egypt. He wrote many novels such as Al-ʾAyyām, Duʿāʾ Al-Karawān, and Shajarah Al-Buʾs, etc. This research aims to find out how taha Hussain highlighted the social issues and gave the proper solution through the novel Shajaratul Bu's.I started my research by history of novel in Egypt and then shown some aspects of Ṭāha Ḥusain life. After these highlighted social issues which discussed in novels such as women issues, educational issues, lower middles class society issues and its solutions. At the end of this article, technical elements of the novel such as: characters, events, structure, and language have been discussed.

Keywords: Ṭāha Ḥusain, novel, social issues**,** technical elements of the novel**.**

المقدمة:

ولدت الرواية الفنية في مصر برجوع بعض المفكرين من الأدباء إبان نهاية الحرب العالمية الأولى، وهي الفترة التي تتميز بأن الأدباء فيها كانوا يهتمون بالقوى الشعبية النامية، ويحاولون تصوير شخصياتها ومعالجة مشاكلها.

وكان طه حسين واحداً منهم الذي اشتهر كروائي اجتماعي، وكتب روايات اجتماعية منها "دعا الكروان" عام 1934م،"وشجرة البؤس" 1944م، و"الأيام" وغيرها، وكان يهتم في رواياته بالقضايا الاجتماعية التي تتعلق بحياة الناس اليومية، ويعبر عن مشاكلهم ومعاناتهم تعبيرا دقيقا.

وهذا البحث يتناول"أهم القضايا الاجتماعية في رواية "شجرةالبؤس لطه حسين "، كقضية المرأة، وقضية الفقر، وقضية التعليم، وقضية الضعف الأخلاقي وغيرها بكل جرأة وصراحة.

أبدأ أولاً بالحديث عن بداية فن الرواية في مصر، ثم أقدم نبذة عن حياة الكاتب وأعماله الأدبية، ثم أتناول أهم القضايا الاجتماعية والفنية التي جاءت في هذه الرواية.

تلخيص رواية "شجرة البؤس":

هذه الرواية لطه حسين نشرت في سنة 1944م، وصور فيها عن المجتمع المصري في ذلك الوقت وقدم لنا صورة حية مؤثرة لطبقات في هذا المجتمع، وتدور حول أسرتي"علي وعبد الرحمن".

يعرض طه حسين في هذه الرواية الحياة الكاملة للمرأة نفيسة التي لقبتها والدة زوجها "بشجرة البؤس"، وكانت هذه المرأة قبيحة الصورة وبشعة المنظر، وكانت شقية بين أخويها وبين الناس،تزوجت من "خالد" ابن صديق والدها وكان "عبد الرحمان" والدها و" علي" والد خالد صديقان وتاجران، وكانت لهما تجارة واسعة وثروة ضخمة،

والحقيقة أن خالد تزوج نفيسة بعد أن أمره الشيخ بذلك، حيث أشفق عليه الشيخ أن يغرق في التصوف فأمر بتزويجه لينصرف عن الدين لأنه لم يخلق ليكون شيخاً ولكن ليكون تاجراً مثل أبيه. وافق أهل خالد ونفيسة على هذا الزواج طاعةً لأمر الشيخ. ولكن فزعت زوجة علي عندما رأت نفيسة فاتهمت زوجها أنه يريد أن يزوج نفسه من ثروة صاحبه، وأنه بهذا الزواج يزرع في البيت "شجرة البؤس"، ولم يمض على زواج خالد أيام حتى ماتت أمه. أحب خالد زوجته وأنجبت له بنتا سموها سميحة، فكانت آية في الجمال، وكان خالد يوازن بين محاسنها وبين مقابحامرأته،فكان كلامه يجرح نفيسة فأصبحت عدوةزوجها. ثم أنجبت نفيسة صبية أخرى سمتها "جلنار"، وكانت متشابهةبأمها في القبح والبشاعة. ففزع خالد من بشاعة ابنته الثانيةولكن أنزل الله عليه السكينة، وثاب إلى أهله كأحسن ما يثوب الزوج الصالح والأب العطوف. ونشأت علاقة قوية بين نفيسة و "زبيدة" زوجة "سليم" ابن عم خالد، وآية ذلك أن جلنار لا تكاد تبلغ الشهر السابع من عمرها حتى خطبتها زبيدة لابنها "سالم"، وقرأ خالد وسليم الفاتحةلذلك. كانت حياة خالد في عذاب مستمر بين حبه وكراهيته لأهلهالذييتنكر له الشيطان بصور بشعة مختلفة، ولم يكن عبث الشيطان بنفيسة أقل من عبثه بخالد، وظلت حالتها تسوء وأصابها الجنون، حيث زعمت أن جنية البيت قالت لها أن زوجها تزوج عليها.

وعلم عبد الرحمان بمرض ابنته فعاد بها إلى القاهرة، وأمر الشيخ خالد بتطليق نفيسة لأنها لا تصلح له زوجاً بعد الآن! ويتوفى عبد الرحمنلشدة حزنه لابنته. ثم يأمر الشيخ خالد بالزواج من الشابة "منى". يتوفى الشيخ وينتقل خالد إلى مدينة أخرى بعيدة من مدن الإقليم ليعمل كاتباً في المحكمة الشرعية بأجر مضاعف. فرح خالد بذلك العمل لأنه يستطيع أن يساعد أبيه بعد أن خسر في تجارته،ولأنه استكثر من الزوجات وأصبح له الكثير من البنين والبنات. اقترحت منى زوجهابأن يحضر زوجته نفيسة وابنتيههنا لرعايتهم. جاءت نفيسة في بيت زوجها ولكنها كانت تقيم في الدار كإنسانة ميتة. كانت "منى" تعاملبنتا نفيسة معاملة سيئةحتى كبرتا.تزوجت سميحة من رجل لديه أبناءمن زوجته الأولى،وكانت حياتها في عذاب وشقاء مستمر.أماجلنار بقيت في دار أبيها كخادمة تعمل في البيت بهمة ونشاط، وكانت تحب سليم كثيراً، وكانت تنتظره أن يأتي مع أبيه لخطبتها، ولكنه لم يأت أبدا. أنجبت "منى" خمسة أولاد وبنتين، وعندما أخذت بناتها يسرعن إلى النمو تغيرت نظرتها لجلنار وأصبحت تعاملها بقسوة وغلظة أكثر. مضت أعواماً عديدةإلى أن جاء سليم مع والده للخطبةولكن من ابنة منى الكبرى "تفيدة" بدلاً من جلنار ليكمل شقاء جلنار وعذابها وبؤسها في هذه الحياة.عاشت تفيدة مع أمها في البيت حتى بعد الزواج لأنها ما كانت تريد أن تعمل في بيت زوجها،فأخذت جلنار تخدم أختها العروسكما كانت تخدمها قبل الزواج.ذهبت نفيسة لتعيش مع ابنتها سميحة وأرادت أن تأخذ جلنار معها، ولكن منى رفضت ذلكلأنها لا تستطيع أن تستغني عنها من أجل عملها كخادمة في الدار. زادت الخصومات بين تفيدة وزوجها سليم بسبب إهمال تفيدة له فعاتبت منى جلنار على ذلك،لأنها كانت تعتقد أنسبب الخصومة بين ابنتها وزوجها حسد جلنار،فأصبحت تكره جلنار أكثر من قبل.ثم مات خالد وانتحرت جلنار في غرفتها لتنتقل إلى جوار أبيها وتعيش في تلك الدار التي لا يعرف أهلها تحاسداً ولا تباغضاً.[1])

القضايا الاجتماعية في رواية شجرة البؤس لطه حسين:

هناك القضايا الاجتماعية الكثيرة التي تتعلق بالمجتمع المصري في بداية القرن العشرين التي اهتم بها الأدباء في إنتاجهم، وحاولوا أن يعالجوها، فصوروا الحياة الاجتماعية وعبروا عن المجتمع في إنتاجهم،وأهم القضايا التي عالجوها من خلال رواياتهم وكتاباتهم هي قضية المرأة وقضية الضعف الأخلاقي وغيرها.[2].

تتحدث رواية شجرة البؤس عن المجتمع المصري ومشاكلها ويعرض طه حسين فيها القضايا الهامة التالية.

قضية المرأة:

تناول طه حسين في روايته "شجرة البؤس" قضية المرأة، وذكر فيها أمثلة عديدة لمشاكل المرأة ومعاناتها في الحياة.منها ما وقعت لبطلة الرواية نفيسة بنت عبد الرحمن، التي كانت قبيحة الوجه والبشرة، وتزوجت من خالد ابن صديق أبيها علي. كانخالد يكره نفيسة بسبب قباحة وجهها، وكان لا يريد أن يتزوج منهاولكن الصديقان زوجا أولادهما بدون أخذ الرأي منهما، وذلك لأخذ المال من بعضهما البعض،فاضطر خالد السكوت أمام غلظة أبيه وتزوج من نفيسة زواجا إجباريا، فعاشت نفيسة حياتها في البؤس والشقاء، حتى طلقها زوجها وتزوج من فتاة جميلة، فأصبحت نفيسة تعيش حياة مؤلمة مع والدها.

كانت لنفيسة بنتان"جلنار" و" سميحة"، الأولى كانت جميلة والأخرى كانت مثل أمها في القباحة،كانتا تعيشان مع زوجة أبيهما الثانية التي كانت تعاملهما معاملة سيئة، وتجبرهما بخدمة أولادها و العمل في البيت جبراً، فعاشت طوال حياتهما مثل أمهما في الشقاء والبؤس،تزوجت سميحة من رجل كان له أبناء من قبل، وأما جلنار لم تتزوج من خطيبها، وأما أمهما ظلتعلى حالها حتى انتحرت وتخلصت من قسوة الحياة.(3)

قضية الضعف الأخلاقي:

هذه القضية أيضا من القضايا المصرية الهامة، وقد ظهرت نتيجة تزلزل كثير من القيم والثوابت، التي كانت جزءا من الحياة، وفي منتصف القرن العشرين اهتزت هذه الثوابت وظهرت المفاسد الاجتماعية كثيرة فبدأ كتاب القصص والروايات يهتمون بهذه القضية الخطيرة.(4)

ومن أمثلة ما نجد في شخصية "منى"، التي كانت تعامل بنات زوجها وجلنار معاملة سيئة، وكانت تعاملهم بقسوةوغلظة، حتى زوجت ابنتها "تفيدة" بنتها الكبرى من خطيب جلنار ليكتمل تزيد من شقائها وعذابها وبؤسها في هذه الحياة. عاشت تفيدة مع أمها في البيت حتى بعد الزواج،وجعلت جلنارخادمتها، وتركت نفيسة "والدة جلنار" بيت زوجها بسبب سلوك "منى" السيئ،وأرادتأنتأخذجلنارمعها،ولكنمنى رفضتلأنها كانت تريدها كخادمة في البيت،وقعتالخصومةبينتفيدةوزوجهاسليم، فعاتبتمنى جلنار،لأنهاكانت تظن أنها سببالخصومة بينهما،وأصبحتتكرهها أكثرمنقبل، حتى اجبرتها على الانتحار.

قضية الجهل:

مشكلة الجهل والأمية كانت موجودة لدى معظم الأقوام والمجتمعات العالمية وخاصة في المجتمع المصري. والمجتمع كان يحمل كثيرا من النقائض مثل التواكل والكسل وكانت تتحكم فيه طبقة من أدعياء الدين الذين يستغلونه كما كان يسير وراء كثير من أوهام، ويتشعب لمعتقدات فاسدة حول الأولياء وكراماتهم وقدراتهم على النفع والضرر كل هذه الأمور وضارة بكيان الأمة مقوماتها.(5)

"وكانت تندرج المعتقدات الخرافية الكثيرة الشائعة في مصر،وكان الناس يؤمنون بالنجوم، وكانوا يذهبون إلى العرافين ويعتمدون على ما يقولون عن حياتهم في المستقبل، كذلك كان الناس يعتقدون بعلاقة الناس بالعالم السفلي والجن والعفاريت"(6)

قدّم طه حسين هذه القضية في روايته "شجرة البؤس" من خلال شخصية"الشيخ"التي كانت شخصية مهمة

جدّاً. وكان الناس يلجئون إليه لحل مشاكلهم، ويعتمدون عليه اعتمادا عميا، فنرى في الرواية أن عندما أمر "الشيخ" الصديقانعبد الرحمن وعلى لتزويج أولادهما وافقا على هذا بدون رضاء أولادهما، وتزوجا أولادهما زواجاً إجبارياً، وفي نتيجة هذا مضت حياة نفيسة كلها في المأساة والمعاناة، وهكذا كانت حياة خالد خالية من الفرح والسرور، وحتى انتقلت هذه الشقاوة إلى أولادهما، في الحقيقة أمر الشيخ بهذا الزواج لأخذ المال، وبعد سنوات أمر خالد بتطليق زوجها وقالأنها لا تصلح له كزوجة.(7)

دراسة فنية للرواية" شجرة البؤس":

تقوم الرواية على مجموعة من العناصر الفنية كالسرد، و الشخصية، والحدث وهذه العناصر المهمة تعتبر البناء الفني للرواية ، فيعرض طه حسين في هذه الرواية عناصر الفنية المهمة.

1) الشخصية
2) الصراع
3) الأحداث
4) اللغة
5) الأسلوب

الشخصيات:

وإذ لاحظنا رواية "شجرة البؤس" نجد هناك شخصيات محورية وثانوية معظم الشخصيات هناك محورية مثل خالد، نفيسة، جلنار، علي، عبد الرحمن، مني، سليم.

شخصية خالد هي شخصية متطورة، تتغير تغيراً جذرياً، ولكن يحدث فيها تغيرات نسبية طفيفة، فنجد أن الشخصيات المحورية تتعرض لأكثر من نقطة التحول، مثل شخصية خالد عندما أنجبت نفسية بنت سميحة التي كانت آية في الجمال تبدلت معاملة خالد لها من المودة والرحمة والحب إلى الغلظة والكره والإهانة لأنه كان يوازن بين محاسن ابنته، وقبح زوجته، فكان يسخر زوجته التي أصبحت منذ ذلك الوقت عدواً لزوجها، ولكنها عندما انجبت ابنتها الثانية التي كانت مثل أمها في قبح المنظر، ففزع خالد وعاد مرة أخرى إلى زوجته وابنتيه ويعاملهم أحسن المعاملة.(8) نجد شخصية"نفيسة" التي بطلة الرواية "شجرة البؤس"شخصية رئيسية ومتطورة والعنوان شجرة البؤس مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً مع بطلة هذه القصة، التي عاشت حياتها في بؤس وشقاء وعذاب بسبب قبح منظرها، وأراد الله أن تطرح هذه الشجرة تشبت نسبتاً "جلنار" في نفس قبح والدتها لتتجرع من نفس الكأس الذي عانت منه أمها.(9)

ونجد هناك شخصية "جلنار"بنت خالد ونفيسةالتي كانت تتهم بحياتها مع أبيها ومني زوجة أبيها التي كانت تعامل معها معاملة حسنة ولكنها بعد أن أنجبت ابنتيها أخذت تقسو على جلنار وجعلتها تعمل في البيت مع الخادمات ولكنها لم تتوقف عند هذا الحد بل ساعدت سالم أن يتزوج مع ابنتها بدلاً من جلنار ويحرص خالد ويوافق على هذه الزيجة فتسوء حياة جلنار أكثر.(10)

وتنقسم شخصيات الرواية "شجرة البؤس" إلى سلبية وإيجابية أيضاً نجد شخصية نفيسة شخصية إيجابية لأنها تحمل الأخلاق الكريمة وشخصية "خالد" شخصية سلبية وهو رجل حريص ويطلب يد نفيسة فقط لمالها وبعد أخذ المال يطلق نفيسة ويتزوج "منى" امرأة أخرى لمالها.(11)

الصراع:

يعتمد نجاح أي قصة على أحكام الكاتب فيها والصراع أو تصادم، قد يكون بين المعاني والشخصيات وأحياناً يكون الصراعبين الجسم والعقل والروح. وعلى القاص أن يجعل الصراع قوياً محكماً.[12] والملاحظ أن الصراع في رواية يكون صراعاً حيوياً أما حيوية عنصر درامي يتجلى في بعض المواقف الذي يشير في نفس البطل أو الأبطال صراعاما يؤدي بالتالي إلى تصرف خاص أو تفكير معين.[13]

ومثال الحب نجد في رواية "شجرة البؤس" والصراع في الحب أمر طبعي، كما ننظر الصراع في رواية عندما يحب خالد زوجته نفيسة رغم أنها قبيحة الوجه ولكن عندما أنجبت بنته جميلة قلبت حبه ويتزوج مع امرأة أخرى.

الأحداث:

نعرف أن الحدث أو الأحداث، وهو الموضوع الذي تدور حوله القصة ويعد العنصر الرئيسي فيها كما قال عز الدين في كتابه: "تقوم الرواية على حادثة أساسية واحدة تتفرع منها حوادث أخرى وتركز على شخصية البطل أو البطلين لكنها تعرض ثنايا الأحداث شخصيات أخرى ثانوية."[14]

وهنا لابد من الإشارة إلى الحدث هو الذي تعتمد عليه القصة في تنمية المواقف وتحريك الشخصيات، لذلك كان لابدّ أن تختار الأحداث بحيث تتناول الحياة الإنسانية التي تشمل على الوجود في مختلف نواحيه المادية والروحية، المحسوسة وغير المحسوسة، مع مراعاة عنصر التشويق أثناء تسلسل الأحداث، وعدم الوقوف على الناحية السطحية فيها، بل يجب الغوص إلى أعماقها، وكشف الإسرار الكامنة وراءها.[15]وفي رواية "شجرة البؤس"الحدث الرئيسي هو زواج خالد مع امرأة قبيحة "نفيسة"بسبب مال أبيها لأن أبويهما كانا صديقان وعلى والد خالد يريد المال من والد نفيسة عبد الرحمن ولكن أم خالد لا ترضى بهذا الزواج كما قال المؤلف:

"لكن ليس من شك أيضاً في أن أم خالد لم تكد ترى نفيسة حتى ارتاعت والتاع قلبها استياء شديداً"[16]

والحدث الثاني عندما أمر "الشيخ" مسعود (خالد أن يتزوج مع "مني" ويطلق نفيسة فتبع أمر الشيخ، حتى تزوج مع "مني" وحياة نفيسة مليئة بالمواقف المتشابكة والمعقدة نفسياً من فقد الأولاد على نحو غير عادي وكيد حزنها وأبناءها وقسوة الزوج ثم وفاته وسوء لسيرة من سلم من الأولاد."[17]

والمكان عند طه حسين لا يكاد يتعدى دوره في كونه إطار للأحداث فقط، حيث تدور أحداث الرواية في ثلاث أماكن القاهرة، القرية والمدينة "النائية" تلك التي انتقل إليها خالد لعمله الجديد فالقاهرة كانت تضم عائلة نفيسة، والقرية كان يعيش فيها خالد وعائلته.

اللغة:

اللغة هي أساس الأدب ومن أهم الأدوات التي توصل بها إلى غاية الكاتب وأعماق النفوس كما يشير الدكتور عبد القادر فهو يقول: "تشكيل اللغة عنصراً هاماً في الأعمال اللسانية، فلا نتصور حياة عادية أو أدبية بدون لغة، وليس لدى كاتب القصة وسيلة أخرى غير اللغة يوصل بها أعمال شخوصه وأفكارهم وصراعهم وتختلف لغة الرواية عن القصة، في الرواية تميل اللغة إلى البساطة والوضوح والسعة أما لغة القصة القصيرة فهي تكون أكثر إيجابية.[18] ويؤيد قوله الدكتور طه وادي:

"إن اللغة خلق فني ليست وسيلة التعبير ضروري للكاتب أن يكون الصحة في العبارة أو في النص من حيث

القواعد والأعراب وأيضاً من حيث المعنى ووضوحها، ومن حيث أناقتها وبلاغتها. فالكاتب ينبغي أن يحرص على صحة التركيب وسلامة الجمل في كتابه سواء كانت شعراً أو قصة أو مقالة"[19]

تلعب اللغة الأدبية دوراً مهماً في الإبانة عن رؤية الواقع في النص الروائي كما قال: "أن المضمون مهما كان نبيلاً والفكرة مهما كانت سامية يظلان في حاجة إلى لغة أدبية راقية على مستوى السرد والحوار."[20]

نجد اختلاف الروائيين في ازدواج اللغة، فمنهم من حرص على كتابة الحوار بالعامية ومنهم من كتبه بالفصحى ويتضح من الروايات طه حسين أن لغته عموماً في السرد هي اللغة العربية الفصيحة والألفاظ البسيطة ومزينة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات والفنون البلاغية الأخرى وأحياناً يتحدث في قصصه بلسانه وأحياناً يتحدث بلسان الشخصيات المختلفة التي نجدها في القصة أو الرواية.

يلجأ طه حسين إلى لغة سليمة وبسيطة، ويقدم من خلالها شخوصه وأحداثه دون أن يقع في مزالق التعقيد والتقصير أو الإعزاب اللفظي والتركيبي ويستخدم الآيات القرآنية، والأمثال وغيرهما من أساليب ونجد أمثلة جيدة في رواياته نجد مثال "**أسلوب القسم**" في روايته شجرة البؤس "وأقسم لقد نهيت أباك عن تزويجك من ابنتي فإنها لم تخلق للزواج، وأقسم بابني لقد رحمتك وأشفقت عليك وتحدثك إلى أبيك في ذلك، ولكن الله أمر هو منفذه وحكمة هو بالغها."[21]

ونجد مثال "**أسلوب الدعاء**" في روايته شجرة البؤس وقال علي: "بارك الله عليك في مالك وولدك."[22]

وقد استعان الكاتب من "**الآيات القرآنية**"كثيراً في رواياته نجد مثالها في روايته "شجرة البؤس". ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾. سورة الأَحزَابَ، الآية: 36)[23] وبعض الأحيان أثناء الكتَابة يستَعمل أسلوب القرآن مثلا: "حدثني عن هؤلاء النسوة أمن أهل الجنة هن أم من أهل النار؟"[24]

"الجنة ، النار" لفظان استعملا في القرآن الكريم في سورة الحشر يقول الله عز وجل:

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾.[25] وهو يستعمل "**التشبيهات**"كثيراً في رواياته كما يقول "هوت إلى جنبها كأنها البناء المنهار".[26] ويظهر في هذا النص التشبيه مرسل مجمل لأن يوجد فيه مشبه، مشبه به، وأركان التشبيه ولم يوجد فيه وجه شبه.

ونجد تشبيه بليغ في رواية شجرة البؤس"أن تعلقوا على رؤوسهن هذا السيف القاطع سيف الطلاق".[27] فهذا تشبيه بليغ. وأيضاً نجد في الروايات "**أمثال الاستعارات**"كثيرة مثل، في رواية شجرة البؤس. "وأن يغرس في هذا القلب النقي الطاهر البري هذه الشجرة الخشبة".[28]

فهذه استعارة مكنية، شبه الكاتب القلب بالأرض ثم حذف مشبه به وذكر شيئا من لوازمه وهو الغرس والمثال الثاني أيضاً في روايته"وإن أتممت هذا الزواج لم تزد على أن يغرس في دارك شجرة البؤس".[29].

ومن أهم ما يميز طه حسين في روايته أسلوبه المتموج الزاخر بالنغم، فلا نستمع إلى كلام له حتى تعرفه بطوابعه المعينة في عباراته الملفوفة التي يأخذ بعضها برقاب بعض في جرس موسيقى بديع.

طه حسين من هذه الناحية يشبه بالأدباء القدماء من مثل الجاحظ الذين كانوا يقصدون قصداً إلى التأثر الموسيقى في كلامهم، فالكلام لا يؤدي بأوجز عبارة، وإنما يبسط بسيطاً ليحمل أداء بموسيقى كلامهم يضاف إلى

أداء الأفكار والمعاني.[30]

وهي نوعان:

داخلية: تخص الشعر والنثر.

والخارجية: خاصة بالشعر.

والموسيقى الداخلية تلك النغم الخفية التي تحس النفس عند قراءتها الآثار الأدبية الممتازة شعراً ونثراً، لوجدنا في أسلوب طه حسين حسن اختياره لكلماته لذا يستعمل الجناس والطباق أثناء كتاباته أكثر، ونجد مثال "**جناس**" نجد في روايته "شجرة البؤس. "فأطمأن إلى نهاره وليله".[31]

وقد استعان الكاتب من أغنية شعبية لجمال وراحة الفكر مثلاً في روايته "شجرة البؤس".

يا ساديات في السحر	يسعين في ضوء القمر
إذا يدا الصبح الأغر	فقلني يا نثر الذهر
إن أبا يحي عمر	أصابه سهم القدر.[32]

(4) الأسلوب:

فالأسلوب عنصر من العناصر الفنية للأدب، وهو الطريقة التي يختارها الأديب ليجمع بها دور العناصر الفنية الأخرى أو الوحدات، ويرتبها على نحو يجمع الجمال الفني من كل عنصر أو وحدة جمعا يضاع، فالجمال ويقوي أثره، وعلى نحو يسمع لكل عنصر يؤدي دوره في العمل الفني، وكأنه عنصر منفرد من ناحية، وعنصر مترابط متناسق مع سائر العناصر من ناحية أخرى.''[33]

ويقول أحمد الشايب عن الأسلوب:

"إنه يقول طريق الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير، أو هو الضرب من النظم والطريقة فيه."[34]

يتألف الأسلوب من عناصر كثيرة منها:

الوصف والقصة المباشرة، وأسلوب السرد والحوار

"طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهو عبارة عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محددة من الألفاظ، والعبارات، والتركيبات الموجودة في اللغة."[35] الوصف هي الوسيلة التي يرسم الكاتب بها جوانب البيئة ويصور الشخصيات وهيئتها وأحوالها النفسية.[36]

ربما يبدأ الكاتب بموضوع القصة مباشرة، دون أية مقدمة ويعمد إلى رسم الشخصيات والبيئة أثناء العرض.وأيضاً نجد المقدمة وهي التي يمهد الكاتب بها القصة، ويعرف القارئ شخصياتها وطبائعهم وأوصافهم وبيئتهم ويجب أن تكون المقدمة قوية أخاذة،تجتذب القارئ منذ السطور الأولى، وهناك طريقة أخرى: إذا يبدأ الكاتب قصته من حيث يجب أن ينتهي، ثم يعود بقارئه، يسلسل تطور الحوادث التي أدت إلى النهاية التي افتتح بها قصته، وتسمى هذه الطريقة في اللغة الإنجليزية "فلاش باك" (Flash Back).[37]

يعتمد الدكتور طه حسين على القصة المباشرة في معظم رواياته، ويبدأ رواية "شجرة البؤس" بها.

"فرغ الرجلان من صلاة العصر، ومما تعودا في أعقاب الصلوات من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ودعاء. ثم تحولا عن مجلسيهما إلى مصطبة في ناحية من نواحي الحجرة لا تخلو من ترف، فهي لم تتخذ من الطين واللبن ... كان يسكنها المترفون من التجار وأوساط الناس."(38)

السرد وهو كلام الروائي والعبارات العادية، ليس فيها حوار وقد يروى الروائي عن غيره، وقد يقص عن نفسه، وقد يسمع عن أحد، وهذا يكون غالباً في الروايات والقصص.

وقد تنوعت تقنيات السرد عند كل كاتب طبقاً لطبيعية المضمون الذي أراد التعبير عنه، ونجد ذلك في سرد طه حسين وصفاً وتصويراً ولفظاً وتضميناً وخيالاً، وعالجها في لغة سليمة لغة بسيطة، وحقق الغاية الفنية وصورة مؤثرة. واعتمد على السرد بضمير الغائب غالباً، فنموذج السرد في روايته "شجرة البؤس" وقد تقدمت السن بابنه خالد حتى كاد يبلغ العشرين، وهو لم يصنع شيئاً إلا أنه حفظ القرآن، وجعل يعمل مع أبيه في تجارته يقبل عليها حيناً وينصرف عنها أحياناً ... فشاركهم في حلقات الذكر."(39)

فهرس المصادر والمراجع:

(1) المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور (طه حسين) الطبعة الأولى 1974م، المجلد الثالث/ شجرة البؤس.

Al-Majmūʿah Al-Kāmilah li Muʾallafāt Ṭāha Ḥusain, vol. 3 (Shajarah Al-Buʾs).

(2) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس مقدسي، ط/7، دار العلم والملايين بيروت، لبنان، ص:253.

Al Ittijāhāt Al-ʾAdabiyyah fi Al-ʿĀlam Al-ʿArabi Al-Ḥadīth, Anīs Maqdasīy,Dār Al 'Ilm li Al-Malāyīn, Bairūt, 253.

(3) شجرة البؤس، طه حسين (المجموعة الكاملة طه حسين) ، ط/1 1974م دار المعارف بمصر.

Shajarah Al-Buʾs (Al-Majmūʿah Al-Kāmilah li Muʾallafāt Ṭāha Ḥusain), Ṭāha Ḥusain, Dār Al-Maʿārif bi Miṣr.

(4) دراسات في الأدب العربي الحديث، محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، ط/1 بيروت ص:269.

Dirāsāt fi Al-ʾAdab Al-ʿArabi Al-Ḥadīth, Muḥammad Mustafā Hadārah, Dār Al 'Ulum Al-ʿArabiyyah, Bairūt, 269.

(5) القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور، حمزه محمد بوقرى. ص:20.

Al-Qiṣṣah Al-Qasīrah fī Miṣr wa Maḥmūd Taimūr, Ḥamzah Muḥammad Būqari, 20.

(6) ''محمود تيمور وعالم الرواية في مصر'' د/بياز خباز ط/1، 1994م. دار الشرق بيروت. ص:228.

Maḥmūd Taimūr wa ʿĀlam Al Riwayah fi Miṣr, Bayaz Khabbaz, Dār Al Sharq, Bairūt, 1994, 228.

(7)شجرة البؤس.

Shajarah Al-Buʾs.

(8) السابق.

Ibid.

(9) السابق.

Ibid.

(10) السابق.

Ibid.

(11) السابق.

Ibid.

(12) القصة والرواية د. عزيزة مريدن، دار الفكر بدمشق 1980م، ص 28.

Al-Qiṣṣah wa Al-Riwāyah, ʿAzīzah Marīdan, Dār Al-Fikr, Damascus, 1980, 28.

(13) الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص 90.

Al-Riwāyah Al-Tārīkhiyyah fi Al-ʾAdab Al-ʿArabī Al-Ḥadīth, 9.

(14) الأدب وفنونه، دراسة ونقد د– عز الدين إسماعيل دار الفكر العربي، ص 136–137.

Al-ʾAdab wa Funūnuhū: Dirāsah wa Naqd, ʿIzz Al-Dīn. Ismāʿīl, Dār Al-Fikr Al-ʿArabī, 136- 137.

(15) القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، ص 25–26.

Al-Qiṣṣah wa Al-Riwāyah. 25-26.

(16) شجرة البؤس. ص: 280.

Shajaratul Buʾs. pg: 280.

(17) شجرة البؤس.

Ibid.

(18) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر شريفة، وحسن لافي قزق، ص 131.

Madkhal ʾilā Taḥlīl Al-Nass Al-ʾAdabī, ʿAbdul Qādir Sharīfah wa Ḥasan Lāfī Qazaq, 131.

(19) القصة والرواية د– عزيزة مريدن ص 17.

Al-Qiṣṣah wa Al-Riwāyah. pg: 17.

(20) قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، د. داود غطاشة د حسين راضي، ص 136.

Qaḍaya Al-Naqd Al-ʿArabī: Qadīmuha wa Ḥadīthuha, Dāwūd Ghaṭṭashah wa Ḥusain Radī, 136.

(21) شجرة البؤس. ص: 281.

Shajarah Al-Buʾs. pg: 281.

(22) شجرة البؤس. ص: 268.

Ibid. pg: 267.

(23) شجرة البؤس. ص: 269.

Ibid. pg: 269.

(24) شجرة البؤس. ص: 334.

Ibid. pg: 334.

(25) سورة الحشر، الآية: 20.

Surah Al-Hashr: 20.

(26) شجرة البؤس. ص: 286.

Shajarah Al-Buʾs. pg: 286.

(27) السابق. ص: 331.

Ibid. pg: 331.

(28) السابق. ص: 379.

Ibid. pg: 379.

(29) السابق. ص: 281.

Ibid. pg: 281.

(30) الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، ص 287.

Al-ʾAdab Al-ʿArabī Al Mu'asir fi Miṣr, Shauqī Daif, 287.

(31) شجرة البؤس، د. طه حسين ، ص 365.

Shajarah Al-Buʾs. pg: 365.

([32]) السابق. ص: 360.

Ibid. pg: 360.

([33]) الأدب الإسلامي إنسانية وعالمية، الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص: 123، 1987م، دار النحوي للنشر والتوزيع.

Al-ʾAdab Al-ʾIslāmī: ʾInsāniyyah wa ʿĀlamiyyah, 'Adnān 'Alī Al-Naḥwī, Dār Al-Naḥwī 1987, pg: 123.

([34]) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد الشايب ص: 52، ط(4)، 1956م، مكتبة النهضة المصرية.

Al-ʾUslūb: Dirāsah Balāġiyyah Taḥlīliyyah li ʾUṣūl Al-ʾAsālīb Al-ʾAdabiyyah, ʾAḥmad Al-Shāyib, Maktabah Al-Nahḍah Al Miṣriyyah, 1956, pg: 52.

([35]) معجم مصطلحات للأدب، مجدي وهبة (انكليزي، فرنسية، عربية) ص 542–543.

Muʿjam Muṣṭalahāt li Al-ʾAdab, Majdī Wahbah, pg: 542- 543.

([36]) فن القصة، أحمد مثنى، مقالة نقدية – طباعة مكتبة الفارس ديرزور، ص 293.

Fann Al-Qiṣṣah, Aḥmad Muthannā, Maqālah Naqdiyyah, Ṭibāʿah Maktabah Al-Fāris Dīrzor, pg: 293.

([37]) القصة والرواية. د. عزيزة مريدن، ص 41.

Al-Qiṣṣah wa Al-Riwāyah. pg: 41.

([38]) شجرة البؤس. ص: 261.

Shajarah Al-Buʾs. pg: 261.

([39]) السابق. ص: 265–266.

Ibid. pg: 265- 266.